دعوة الخير

•

القدرية والعصاة

لقد اضطرب قلب عمر للرعية تأخذها الضلالة ويردّها الزيغ ، فحشد نفسه وبلاغته لها لعله يهديها ، وحارب ضلالة الناس باعتقاده السليم ، وثبت لديه أن عذاب هذه الأمة انما يكون بالفتن بينها في الدنيا ، وكره أن تبدأ الضلالة بالكلام في القدر والتكذيب به . وقد حدّث عمرو بن مهاجر أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هلكت أمة بعد ايمانها الا بشركها ، وما كان بدء شركها الا التكذيب بالقدر [٣٤٧]

ورأى عمر في أهل الكلام بالقدر أن يستتابوا ، فان تابوا خلى سبيلهم والا نفاهم . ولم يكن عمر مبتدع هذا الرأي ولكنه تأثر خطى عمر بن الخطاب الذي كان يقول : إنه لا عذر لأحدٍ عبد الله

(٣٤٧) تاريخ داريا ص ٨٣ ، ٩٢

بعد البيّنة بضلالة ركبها حسبَها هدى، ولا في هدًى حسبه ضلالة فقد تبينت الامور وثبتت الحجة وانقطع العذر ، فمن رغب عن انباء النبوة وما جاء به الكتاب تقطعت من يده أسباب الهدى ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى [٣٤٨]

وكان هناك بناحية سجستان وهراة وخراسان فرقة من الخوارج تقول بتكفير الأمة وتبرأ من الختنين عثمان وعليّ، ويتولون الشيخين، ويسبون ، ويستحلون المحارم ، ويأخـــذون ببعض القرآن ولا يقولون بالسنة أصلا ، وكانوا مع ذلك شجعانا تقاتل نساؤهم على الخيل مضمرات كما يقاتل رجالهن .

وبناحية هراة واصطخر جماعة من الشراة يكفرون اصحاب المعاصي في الصغائر والكبائر ، ويرون رأى الحرورية في الخلفاء ولكنهم يستحلون الأموال ولا يَسْبون النساء ، ولا يخالفون في دين ولا سنة ، وكانت لهم دنيا واسعة ولهم خصب ومروءة [٣٤٩] .

واشتعلت في الشام فتنة غيلان الدمشقي فانه كان من أهـــل القدَر والمتكلمين فيه وكان أهل القدر يقولون بارادة الانسان كما قال أهل الاعتزال من بعد - فعدّ عمر ذلك غلواً في القول ، ورأى أنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله لكان له شركاء تنفـــذ مشيئتهم في الخلق دونه . [٣٥٠] وكان هنا وهناك وفي كل مكان بلبلة واضطراب وزيغ وضلالة ، فرأى عمر ان يجادل كل هؤلاء

---

(٣٤٨) ابن الجوزي ص ٦٨

(٣٤٩) التنبيه والرد ص ٥٦ ، ٥٧

(٣٥٠) ابن الجوزي ص ٦٩

ليهديهم سواء السبيل .

أما غيلان فأتى به عمر وحاجّه فلزمته الحجة فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد جئتك ضالاً فهديتني ، وأعمى فبصّرتني ، وجاهلاً فعلمتني والله لا أتكلم في شيء من هذا الأمر ابداً . وأدرك عمر خبث غيلان فهدده وتوعّده فقال : والله لئن بلغني انك تكلمت في شيء منه لأجعلنّك نكالاً ! فلم يتكلم غيلان في شيء حتى مات عمر ، فلما مات سال فيه غيلان سيل الماء او سيل البحر [٣٥١] .

وأما خارجة الحرورية بناحية الموصل فأخافت الطريق وأراقت الدماء ، فأرسل عمر فحملهم على مراكب البريد ، ثم أذن لاثنين منهم ان يخاصماه ، فلم يدع لهما حجة حتى كسرها فقالا : نرجع على أن نسيح في الارض ، وأقسموا على ألا يخيفوا سبيلاً ولا يريقوا دماء ، فان فعلوا فقد أذنوا بالحرب ، فساح أحدهما فأراق الدماء وأخاف السبيل ، فبعث اليه عمر بسعيد الجرشيّ في اهل الكوفة فقتلوه وقتلوا اصحابه .

وكتب عمر الى بعض العاصية الذين خرجوا : من عبدالله عمر ابن عبدالعزيز أمير المؤمنين الى يحيى بن يحيى والعاصية الذين خرجوا ، سلام الله عليكم ، اما بعد ، فان الله عز وجل يقول : « ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .. ثم جعل يلزمهم الحجة ثم قال : واني أقسم بالله لو كنتم ابكاراً من ولدي وتوليتم عما دعوتكم اليه ولم تجيبوا لدفعتُ دماءكم التمس

(٣٥١) التنبيه والرد ص ١٥٨

بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، فهذا النصح ان اجبتم ، وان استغششتكم فقديماً استغش الناصحون [٣٥٢]

وخرج في سنة مائـــة بسطام شوذب اليشكري في نواحي العراق ، وكان في ثمانين رجلًا ، فكتب عمر الى عبدالحميد بن عبد الرحمن ألا يحركهم حتى يسفكوا دماً ويفسدوا في الارض ، فان فعلوا وجّه اليهم رجلًا صليباً حازماً في جند ، فبعث عبد الحميد محمد بن جرير بن عبدالله البجليّ في ألفين وأمر بما كتب عمر .

وارسل عمر الى بسطام كتاباً يسأله فيه عن سبب خروجه ، فبلغه الكتاب والبجليّ بالجند في وقتٍ معاً ، وقام البجليّ بأزائه لا يتحرك كما أمر ، وكان في كتاب عمر : بلغني انك خرجت غضباً لله ولرسوله ، ولستَ أولى بذلك مني ، فهلمّ إليّ أناظرك ! فان كان الحق بأيدينا دخلتَ فيما دخل فيه الناس ، وان كان في يدك نظرنا في أمرك . فرضي بسطام بما رأى عمر ورأى انـــه انصف وعدل فأرسل اليه برجلين يناظرانه أحدهما مولى حبشي لبني شيبان اسمه عاصم ، وآخر يشكريّ ، فقدما على عمر بخناصرة فدخلا اليه فناظرهم وناظراه .

وجاءه الخارجيـــان بسبّ بني أمية ، وطلبوا منه ان يتبرأ منهم — ولم يكن السبّ من شأن عمر — فجادلهم فيه حتى رضوا برأيه وأقروا أدَبه ، وأراهم أنه لا يستطيع أن يتبرأ من أهله ، وقد اكتفى بافقارهم وحمى العبادَ منهم ، ولم يَرَ عمر أن يجري في المضمار بأكثر من ذلك ، فان في أهل بيته المحسن

(٣٥٢) التنبيه والرد ص ١٧٤ — ابن الجوزي ص ٧٧

والمسيء ، والمصيب والمخطيء .

وجاء الخارجيان باقرار عدله وإنصافه ، ولكنهما طلبا إليه أن يخلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد، وجاءهم عمر بأن يُنْظروه لينظر في خلع يزيد من بعده إن حانت له الفرصة .

أما عاصم فشهد بأن عمر على الحق وأقام عنده، وأما اليشكري فرأى أن يرجع ليرى رأي من بعثوه . وأما البجليّ قائد جند عمر فظل قائماً مقابل الخوارج لا يتعرض لهم ولا يتعرضون له . كلٌّ منهم ينتظر عودة الرسل من عند عمر . فتوفي عمر والأمر على ذلك . وأسرع بنو أمية إلى دسّ السمّ لعمر مخافة خلع يزيد [٣٥٣] .

جهد المسلمين

وهكذا انطلق الشرّ والهوى في بلاد المسلمين وامرائهم . وكانت على الثغور والآفاق جيوشٌ تتعثر واخرى تتمزق وتذوب. فرأى عمر أن تمسك الأقواس عن سهامها حتى تقوى الدولة من داخلها ويتعلم الناس في البلاد التي فتحت حقيقة الاسلام ، وذلك خير من أن يتّسع الخرق على الراقع .

حقاً إنه لم يشتهر عن عمر بن عبدالعزيز انه على علم بفنّ الحرب، ولم يسبق له ان اشترك في غزوات مع الجيش سوى ما قيل من انه سار مع سليمان مرة الى الصائفة ثم اختلفا فرجع عمر ومضى سليمان . ولقد قيل لذلك ان عمر أخطأ حين ردّ جيوشه من الثغور

---

(٣٥٣) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٣

فعطّل الفتوح التي كانت توشك ان تخـــترق اوروبا من الشرق والغرب وتلتقي في قلبها على أشلاء الروم والقوط وسائر الفرنجة ثم يلفظ الشرك انفاسه في خضمّ الارض. لكن عمر جاء يخالف بني امية في سياسة الفتوح . لأنه كان يشهد من بُعْد ان الفتوح لم تأتِ بما يُرْجى منها للدين إذ كان الغرض الأول من الفتح أن يُـــدْعى الناس الى السلم فيؤمنوا ، ولكن الفتوح ارتدت كلها تطلب الغنى والثروة والسبايا والعبيد . وليت الأمر اقتصر على ذلك بل انهـا ارتدّت الى الضدّ مما كانت ، فقد صارت مربحـة للأمراء والولاة على البلدان ، لا يضعون الجزية عمن يسلمون لئلا يُقفر بيت المـال كما يقولون ،فلم يعد الناس يرون من فائدة لهم اذا دخلوا في الاسلام.

وكانت طبقة القواد والجنود التي تتولى الفتح اليوم غير الطبقة الاولى من الاصحاب والتابعين ، فلم تكن تدرك تمـام الادراك حماسة هؤلاء لدينهم الذي انساحوا من اجله لفتوح البلدان ،وكانت الفتوحات العسكرية تثقل كاهل الفاتحين ، وما يأتي منها من غنائم يوزع على السادة دون العبيد ، ولا يدخل الاسلام هذه الأرضين الا قلقاً غير معروف . وان النطاق الضيّق الحصـــين لأفضل للاسلام نفسه من هـذا النطاق الفسيح الذي اصبح كله محوطاً بأضعف الثغور. هكذا رأى عمر او لعله، فردّ الجند عن الثغور .

واهتدى بما رأى إلى الصواب كله ، فان الأمر كان اكثر مما يُظَنّ ، ولم تكن البلاد التي تواجه الفتح بالهيّنة السهلة حتى يضحّى أمام أسوارها بالجند والمـال ثم لا تُفْتَح ، وإن فتحت فانهـا لا تزيد المسلمين إلا عبئاً وهماً ثقيلاً .

ومضى عمر في رأيه فردّ من فوره جند المسلمين عن الآفاق إلا ما كان في معركة يخوضها أو على ثغر يخاف عليه [٣٥٤]. وكان اول ما خيف عليه جندُ مسلمة بن عبد الملك، وكان قد حاصر القسطنطينية في ايام سليمان أشد حصار فرضه العرب عليها وتوالت فيه امدادات البر والبحر، ونصب المنجنيق، ورَمَى العربُ الرومَ بالنفط وأسرع أسطول مصر للنجدة، وكادت القسطنطينية تسلّم لولا ان الامبراطور « ليو الايصوري » السوريّ الأصـــل وفّق في انقاذ المدينة من مسلمـة .

ثم استعان الرومُ والبلغار بالمجاعة والأوبئة وأهوال الـــبرد فزادت بليةُ المسلمين . ومات سليمان بن عبد الملك حين ذلك فـلم يثبط موته من عزيمة أخيه مسلمة ، وظل يحاصر المدينـــة وجيشه يذوب ويهلك ، فأرسل اليه عمر يأمره بالقفول بمن بقي معه مخافـــة هلاك الجند كافة ، فصدع مسلمة بالأمر وقَفَل في معونة من الخيل والطعام من قِرَى الناس فأتت على البقية الباقية معـه وهو قافل عاصفة هوجاء [٣٥٥] . ثم أمر عمر جند طرندة بالقفول عنهـــا الى ملطيـة [٣٥٦] .

أما الحرب في اقصى الشرق وأقصى الغرب فقـد استمرت في نطاق ضيق، وقد ظل السمح بن مالك الخولاني يحارب في الاندلس

---

(٣٥٤) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٧٦

(٣٥٥) تاريخ العرب المطول ص ٢٦٧

(٣٥٦) طرندة بلدة من ملطية على ثلاث مراحل داخلة في بلاد الروم — النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤٢

حتى استولى على «سبتمانيا» ثم نزل «اربونة» التي صارت حصناً منيعاً للعرب فيما بعد وصارت دار صناعة ومستودعاً للمؤن والمعدات [٣٥٧] وقاتل حاتم بن النعمان الباهلي عن أذربيجان وطرد عنها المغيرين [٣٥٨].

بدعة معاوية

وكانت سرت في البلدان بدعة قد وُقِحَتْ فكشفت عن وجهها ثم سارت، سارت تطأ كل المنابر وتصرخ في كل الآذان، ولم تستح فصعّدت في مسجد رسول الله وبين أهله وعلى منبره، كان ابتدعها معاوية بن أبي سفيان، وأصدر أمره الى الولاة ان يجعلوها تقليدا في خطب الجماعة، وظن معاوية أنه ما يزال يدق بها الآذان ويقذف بها في الصدور حتى تميل اليه.

وأراد معاوية أن يشيد ملكه ويقرر في انفس الناس أن بني هاشم لا حظ لهم في هذا الامر، وأن سيدهم الذي به يصولون ويفخرون هذا حاله وهذا مقداره فيكون من ينتمي اليه ويَدِلُّ به عن الأمر أبعد، وعن الوصول اليه أشحط وأنزح [٣٥٩].

وظن معاوية أن الناس اذا كرهوا وجه السوء في بداءة الرؤية فانه حين يعود ويشمل ويتكرر تذهب عنه الوحشة ويتوارى منه القبح، وظن معاوية انها ستكون غداً عادة مألوفة وسنة شريفة فاذا غابت عن الناس يوما اشتاقوا لها وحنوا اليها.

وأخطأ معاوية الرأي وجاوز الحلم الذي قالوا إنه وُسِم به،

---

(٣٥٧) تاريخ العرب المطول ص ٥٩٥

(٣٥٨) حماة الاسلام ج ١ ص ١٧٦

(٣٥٩) خطط الشام ج ١ ص ١٥٥ عن ابي الحديد.

وعادت البدعة بغير ما ظنّ ورأى ، فانها كانت تحدث في نفوس الناس وجمة غيظ واستغفارة ندم يفطن لها الخطيب الفطين فيعثر ويتلعثم ، وتغيب عن غير الفطن فتنطلق اللعنة عليه جارفة صارخة من القلوب .

وقدّم معاوية الخطبة على صلاة الجمعة لأن الناس كانوا يكرهون سماع اللعن فكانوا اذا أدّوا الصلاة خرجوا من المسجد ، فألزمهم بتقديم الخطبة سماعَ المسبّة ، ولكنهم كانوا اذا فرغوا من سماع الخطبة اجتمعوا - ولا سيما الطالبيون - بعد كل صلاة وصبّوا لعناتهم على بني أمية جميعاً .

وخاض خطباء البلدان في دم البدعة فسبّوا علي بن أبي طالب على المنابر بأمر الأمير ، وجاوز خطباء بني أمية حدّ النهية والمروءة في الجهر بها ، ونطق بها عبد العزيز بن مروان فيمن نطق على منبر المسجد الجامع بفسطاط مصر ، ولكنه كان فطنا فقلق ورجف وتعثر وتلعثم كلما همّ بها فأحسّ القلوب تغضب ورأى الوجوه تشيح وسمع الأفواه تزفر ، ولكنه كان تقليداً مرسوماً ، ولم ينهه احدٌ عنه ، ولو وجد من يكفه لكفّ أو لعلّه !

وقد قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي اذا خطب فنال من عليّ رضي الله عنه تلجلج ، فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فاذا أتيت على ذكر علي عرفتُ منك تقصيرا ! قال : أوفطنت الى ذلك ؟ قلت : نعم ، فقال :

يا بني ، ان الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم تفرقوا عنا الى اولاده .

ولكن عمر بن عبد العزيز لم يتعظ بما فعـــل أبوه ، وغلبه الصّبا والنسيان ، فحين عاد الى المدينة يتعلم خاض في البدعة ونزع إليها منازع أهله، ولم يكن يعرف في نفسه حباً لعلي بن أبي طالب حتى دله عليه راهب قريش .

قال عمر : كنت بالمدينة أتعلم العـلم ، وكنت ألزم عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأتيتـه يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة ، فقعدتُ أنتظر فراغه ، فلمـا فرغ من صلاته التفت إليّ فقال لي : متى علمتَ ان الله غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟ قلت : لم اسمع ذلك ، قال : فما الذي بلغني عنك في علي ؟ فقلت : معذرة الى الله والبك، وتركتُ ما كنتُ عليه ! [٣٦٠] .

وكان نشأ عن فتنة عثمان وفتنة يزيـد أنْ سبّ بعضُ الناس عثمان مع تورع السلف الناجين عن سبّه ، ومدح بعضهم يزيد بن معاوية مع اجماع الناس على رميه بالخطأ،قد اختلف الناس هكذا، ولم يكن لهم أن يختلفوا في الرجلين هذا الاختلاف حتى لو كان اختلافهم للتعصب والعناد ، فالحلال بيّن والحرام بيّن ، ولكن الناس في الأرض عشاق ضلالة وأنصار خلاف .

وقد جيء عمر برجل سب عثمان فقال : لم سببته؟ قال الرجل: أبغضتهُ ! فقال له عمر : أو كلما أبغضتَ رجلا سببته ؟ ثم ضربه

---

(٣٦٠) ذكر الخضري في تاريخه ج ٢ ص ١٨٤ ان ذلك حدث من عمر وهو في امرة المدينة وهو وهم من الخضري ترده شهادة عمر نفسه كما ذكرنا – ابن الاثير ج ٥ ص ٢٠

ثلاثين سوطا . ثم سمع رجلا يتشدق ويقول : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فضربه عشرين سوطا .

بدعة الناس

وأثرت بدعة معاوية في الناس فابتدعوا سب الخلفاء أو بعضهم. وصار سبّ الناس بعضهم بعضاً عادة . وكما سبّت امية علياً سبّ الطالبيون بني اميّة ، وحيث هانت مقادير الرجال فقد صار السب لمن دون العظماء أهون وأسهل ، وقد جهد عمر في ان يمتنع الناس عن عادة السب حتى ان الرجل كان يأتيه مظلوماً فيشكو له ظلمه فيهمّ ان يقضي له فاذا سبّ خصمه لم يقضِ وتركه ومظلمته .

إنه كان يعتقد ان السبّ ينتقص الحق ، ولقد مات الحجاج وهو يقول : اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل ، فنفسها عليه عمر وظنها منجاة له وأمسك دونه . وحين دخل عليه رياح بن عبيدة وذكر عمرُ الحجاجَ شتمه رياح ووقع فيه ، فقال له عمر : مهلا يا رياح ، إنه بلغني ان الرجل ليُظلم فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقّصه حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضل عليه .

ولما استوى عمر خليفة رأى ان يمحو البدعة ويدفع الناس عن سفساف الأمور ، فكان أول ما أمر به ان منع الناس عن سب علي في الخطبة على منابر البلدان [٣٦١] . وأثبت عمر في مكان السبّ قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ،

---

(٣٦١) الفخري ص ١٧٦ ـ التنبيه والرد ص ٥٢ ـ النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٣٤

وكتب بذلك إلى الأمصار .

ولما أبطل سبّ عليّ أقبل عليه كثير عزّة ينشده ويقول :

وليتَ فلم تشتم علياً ولم تخف بريّاً ولم تتبـــع مقالة مجرم
تكلمتَ بالحق المبين وانمـــا تبيّن آياتُ الهـدى بالتكلم
وصدّقتَ معروف الذي قلت بالذي فعلتَ فأضحى راضيا كلّ مسلم

فلما أتم كثير عزة إنشاده قال عمر : أفلحنا اذن ! [٣٦٢]

وكان الخلفاء يغلظون في العقوبة لمن يسبّ أحداً لايرضون سبه ، ولم يكن عمر يرى هذا التجاوز والغلو في عقوبة السبّ وان كان يكرهه. وكان يرى خير رادع للسبّ أن يعلّم النـاس الدين ويبصروا به حتى يرتدعوا من انفسهم ويكون الخلفاء لهم في ذلك قدوة ، فلما صارت له الخلافة جعل من نفسه خير قدوة فامتنع عنه حتى لمن يستحق أن يُسبّ وحمل الناس على ما رآه . وكذلك لم ير في السبّ قتلاً كما فعل الوليد ، وقد كتب اليـه عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب العراق يقول له : إن رجلا شتمك فأردتُ أن أقتله ، فكتب اليه : لو قتلتَه لأقدتك به !

●

وغيّر رجال من القُصاص السنّة التي كان الناس عليهـــا ، وأحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عَدْل ما يصلون على النبيّ وآله والمؤمنين ، فكتب عمر الى أمراء الاجناد يقول فيما قاله : إن رجالاً من القصاص قـد أحدثوا صلاةً على خلفائهم وأمرائهم

(٣٦٢) مسالك الابصار ج ١ ص ٣٥٣ ـ ابن الاثير ج ٥ ص ٢٠

عدل ما يصلون على النبي وعلى المؤمنين ، فاذا أتاك كتابي هـذا فردّوا قصاصكم فليصلوا عـلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وليكن فيه إطناب دعائهم وصلاتهم ، ثم ليصلوا عـلى المؤمنين والمؤمنات وليستنصروا الله ، ولتكن مسألتهم عامـــةً للمسلمين ، وليدعوا ما سوى ذلك [٣٦٣]

شيعة علي

وكان عمر بن عبد العزيز في سياسته بيْن الحفاظ عـلى اهـــله وسلطانهم ، وبين ترضية بـني هاشم ومسح جروحهم وآلامهم . وقد راودته فكرة خلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد ثم زال عنها ، ولم يسمح لأحد من كبار أهل البيت أن ينزل معه دمشق لئلا يعرف فضله ، فسرّحه سراحاً جميلاً . قد بقي عمر على عِرْقه الاموي . وقد حدّث فيما كان يرى في منامه عن الخلاف بين عليّ ومعاوية بأن علياً قُضِيَ له بالحق وان معاوية غُفِر له ، وقال عمر ذلك عن رؤيا رآها ولم يقله عن رأي ارتآه [٣٦٤]

وكانت سنّة الأموية الا ينزل معهم بالشام أحد من أهـــل البيت لمكان هؤلاء من الفضل والعلم ومحبةً الناس ، وقد سار على هذه السنّة عمر لم يفارقها إما مخافة أهله واما مخافةً عليهم ، وقـد قالوا انه لما قدم عليه عبدالله بن حسن كره عمر مكانه بالشام وعرف سنّه وعقله ولسانه وفضله ، فلم يكن شيء احب اليـه من ان لا

---

(٣٦٣) ابن عبـــد الحـكم ص ٩٠ وهو مذهب عمر كما يقول ابن قيم الجوزية ـ انظر جلاء الافهام لابن قيم .

(٣٦٤) ابن الجوزي ص ٢٤٨

يراه احد من أهل الشام ، فقال له : اني اخاف عليك طواعين الشام — وكانت الشام كثيرة الطواعين — وانك لم يغنم اهلك خيراً منك فالحق بهم فان حوائجك ستتبعك ! فكان ظاهر كلام عمر حسناً مشكوراً ، وباطنه أجود التدبير في تسريحه سراحاً جميلاً[٣٦٥]

ولكنّ عمر مع سياسته هذه جهد في مداواة جراح بني هاشم ما وسعته المداواة ، وحامى عنهم كثيراً ، وكان ذلك منه قديماً ، ولكنه فشا وكثر حين صار خليفة . وقد كان سليمان بن عبد الملك وقع على كتاب من زيد بن حسن الى الوليد يخلع فيه سليمانَ من ولاية العهد ويبايع لعبد العزيز بن الوليد ، فأمر سليمان ابا بكر بن حزم واليه على المدينة ان يضرب زيداً مائة سوط . فطلب عمر من الرسول ان يتريث في السفر حتى يكلم الخليفة ويستطيب نفسه لعلها تطيب فيعفو عن زيد . وما لبث سليمان ان مات ولم يذهب الرسول الى المدينة وافضى الامر الى عمر فدعا من فوره بالكتاب فحرقه حين عاد من جنازة سليمان[٣٦٦]

ولم يكن بنو امية قد اكتفوا بسب علي ، بل انهم حرّموا ان يذكر اسمه بين أيديهم . وكان زريق مولى علي بن ابي طالب قد حفظ القرآن والفرائض ولكنه لم يرزق شيئاً من بيت المال ، فوفد على عمر فقال : يا امير المؤمنين ، اني رجل من اهل المدينة وقد حفظت القرآن والفرائض ، وليس لي عطاء في الديوان ، فقال عمر : ولم يرحمك الله ؟ من اي الناس انت ؟

---

(٣٦٥) ثمار القلوب ص ٣٥ :

(٣٦٦) ابن عبد الحكم ص ١٢٢

قال زريق : رجلٌ من موالي بني هاشم ، فقال عمر : مولى منْ ؟ فسكت زريق وهمّ واحد من الناس ان يجيب ، فقال عمر لزريق : اليك اسألك ! وصاح به : اتكتمني من انت ؟ فقال زريق بصوت خافت كأنه نجوى : انا مولى علي بن ابي طالب — قد خاف ان يجهر — فقال عمر رافعاً صوته : وأنا مولى علي ! أتكاتمني ولاء علي ؟ حدثني سعيد بن المسيب عن سعد بن ابي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه .

وقال عمر بن مُورِق : كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس فتقدمت اليه فقال لي : من انت ؟ قلت : من قريش ، قال : من أي قريش ؟ قلت : من بني هاشم ، قال : من أيهم ؟ فسكتّ ، فقال : من أي بني هاشم ؟ قلت : مولى علي بن ابي طالب ، فوضع يده على صدره وقال : أيا مولى علي بن ابي طالب ، حدثني عدة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنتُ مولاه فعليّ مولاه ! ثم قال : يا مزاحم ، كم تعطي أمثاله ؟ قال مزاحم : مائة درهم او مائتين ، فقال : اعطه خمسين ديناراً لولائه لعلي بن ابي طالب عليه السلام ، ثم قال له عمر : الحق ببلدك فسيأتيك مثلُ نظرائك [٣٦٧]

●

وكان لون البطولة قد تغيّر فصار الرجل يفخر بما سفك من دم اخوانه في وقائع المسلمين ، وكان الرجل قديماً يفخر بغزواته للمشركين وفتحه البلدان . ثم اختلط الامر فلم يَعُد هناك من

(٣٦٧) ابن الجوزي ص ١٥ ، ١٦

يفرق بين غازٍ اعداءه في الثغور وباطش بأهله في بلادهم ودورهم . هذا كان إثم بني أمية ، ولا محيص من ان يتحملوه . ولم يكن عمر يرى رأيهم في أبطال الحروب وشجعان القتال ، وانما كان يرى البطولة في مثل غزوات النبي وحروب الخلفاء الراشدين . وقد جاءه يوماً شيخٌ وجعل يعدد له غزواته بدير الجماجم وغيره مع مروان في مصر ، وجعل يفخر بعمله فيها ، فقام غلام من الأنصار — وكان حاضراً — فذكر انه ابن رجل شهد بيعة العقبة وشهد بدراً وأحُدا ، فقال عمر : هذه المكارم لا ما تعدّه ايها الشيخ منذ اليوم ، وقضى حاجة الفتى دون حاجة الشيخ [٣٦٨]

●

إن عمر بن عبد العزيز ما كان يسرّه ألا يختلف آل محمد في آرائهم وفقههم ، فقد رأى من وراء الخلاف في الرأي والفقه خيراً ، ولو لم يختلفوا فيما بينهم لكانت الامور كلها عزائم ولم تكن لهم رخصة تخفف عنهم . أما ما عدا ذلك فقد بالغ عمر في اطفاء الفتن بين الناس . وقد سئل عما يقوله فيما شجر بين الصدر الاول وعن قتال اهل صفين فقال : تلك دماء طهّر الله يدي منها ، أفلا أطهّر منها لساني ؟ مَثَلُ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَثَلُ العيون ، ودواء العيون تركُ مسّها [٣٦٩].

---

(٣٦٨) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف نهر للسالك الى البصرة ، والشيخ يشير الى اشتراكه في الوقعة التي كانت بين الحجاج الثقفي وعبد الرحمن بن الاشعث وقتل فيها القراء — معجم البلدان ج ٤ ص ١٣١

(٣٦٩) الانصاف ص ٦٠ — الموافقات ج ٤ ص ٣٢٠

وهكذا مضى عمر يؤلف بين الأحـــزاب ويطفىء ثورة الشيعـة والعلوية ، ويؤدب الخوارج ، ثم اخـــذ يميت عصبية الجاهلية التي استيقظت بين اليمنية والمضرية [٣٧٠] .

وفي ظل هذه السكينة التي نزلت القلوبَ في مدته بدأت دعوة بني العباس ، فوجّه محمد بن علي بن عباس دعاته إلى الآفاق [٣٧١] .

قصة فدك

وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، وفيها عين فوارة ونخل كثيرة ، افاءها الله على رسوله في سنة سبع صلحاً ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق الا الثلث ، أو كان حاز كل شيء إلا حصنين يقال لها الوطيح والسلالم ، فلما أيقنوا بالهلكة [٣٧٢] واشتد الحصار راسلوا النـــبي يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وحقن الدماء ، وفعل ، وبلغ ذلـك أهل فـــدك فأرسلوا إلى النبي أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم ، فأجابهم الى ذلـك ، وبعث إليهم محيِّصـة بن مسعود فنزلوا على ما نزل عليه اهل خيبر ، على أن يصونهم ويحقن دماءهم ، فأقرهم رسول الله على مثل معاملة أهل خيبر [٣٧٣] ، وقسم رسول الله أرض بني النضير وأرض بني قريظة ولم يقسم فدك [٣٧٤]

---

(٣٧٠) المرشد ج ٤ ص ١٢٨

(٣٧١) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٥

(٣٧٢) الخراج للقرشي ص ٤٣

(٣٧٣) الخراج لابي يوسف ص ٥١

(٣٧٤) الخراج للقرشي ص ٤١

وما كانت فدك مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فقد صارت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق ما يأتيه منها على اهله ثم ينفق ما تبقى في أبناء السبيل .

ثم قيل ان فاطمة الزهراء سألتها أباها فأبى وقيل بل رضي فاعطاها ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم اختلف على فدك رأي فاطمة ورأي ابي بكر ، ولعل ابا بكر ابقاها بيده حتى اذا احتاج اليها المسلمون — وكانوا في مبدأ أمرهم وضيق ذات ايديهم — وجد ما يعينه . ومع ان ذلك العمل من ابي بكر لم يرض فاطمة فقد صارت فدك في ايدي الخلفاء يتولون امرها [٣٧٥] .

وقد أدّى اجتهاد عمر بن الخطاب لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردها إلى ورثة الرسول فكان علي والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها ، وكانا يتخاصمان إلى عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتما أعرف بشأنكما .

ثم صارت فدك الى مروان بن الحكم قد وهبها له معاوية ، ثم وهبها مروان لولديه عبد الملك وعبد العزيز ، ثم صارت اثلاثاً بين عمر بن عبد العزيز والوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد أعطى نصيبه منها لعمر . فلما ولي عمر الخلافة كتب الى عامله بالمدينة يأمره برد فدك الى ولد فاطمة عليها السلام ، فكانت في ايديهم في مدة عمر ابن عبد العزيز ... ثم صارت تنتقل منهم واليهم كما شاء الولاة [٣٧٦]

---

(٣٧٥) فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٥٨ نقلا عن شرح ابي الحديد على نهج البلاغة — ابن الجوزي ص ١٠٩ ، ١١٠

(٣٧٦) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٣

وقيل لم يردها الى ولد فاطمة وانما ردها الى بيت المال ، قال عمر : وما كان لي مال أحب إلي منها ! وانا أشهدكم اني قد رددتها الى ما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣٧٧] وأبي بكر وعمر وعثمان ثم كتب الى والي المدينة : فاقبضها وولّها رجلاً يقوم فيها بالحق ، وسلام عليك [٣٧٨]

علوم الدين

كان عمر يفسر غريب القرآن ويروي الحديث ويتفقه ، ويعنى بما تعلق من الفقه بالزهادة والعـــدل والنصح للناس ، ثم في شتى الأخبار والعبادات . وقد كتب الى ابي بكر بن حزم ان يجمع الحديث ويكتبه مخافة ان يَدرُسَ العلم ويذهب العلماء ، كما كتب الى اهل الآفاق ان ينظروا الى الحديث ويجمعوه . وحمل علم القرآن والفقه في عهده الى أقصى الشرق واقصى الغرب ، وكانت اول نهضة بمغرب افريقية بين البربر المسلمين . ولم يهتم أحد من خلفاء بني امية بالتشريع والفقه كما اهتم بهما عمر . وقد كان رقي الفقـه والتشريع قبل عمر في حلقات الدروس المستقله عن الخلفاء [٣٧٩]

ورأى عمرُ العلم الحقَّ ما دعا الى القناعة وصدَّ صاحبه عن الطمع وكان يقول : تعلموا العلم فانه زين للغنيّ وعون للفقير ، لا اقول انه يطلب به ولكنه يدعو الى القناعة . ولم ير احداً في غنى عن العلم فكان يقول : إن استطعت فكن عالماً ، فان لم تستطع فكن

(٣٧٧) العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٥

(٣٧٨) ابن الجوزي ص ١١٠

(٣٧٩) فجر الاسلام ص ٢٢١ — ٢٤٨

متعلماً ، فان لم تستطع فاحبهم ، فان لم تستطع فلا تبغضهم .[٣٨٠]

واول امره كان يدرس شريف العلم : هذا الذي هو حول القرآن والحديث والفقه . ثم ادرك انه على اضطرار لأن يتعلم اكثر مما تعلم . لم يكن يدري غير هذا العلم الشريف بين جدران المساجد والمجالس حيث ينقطع عن جمهور الناس ، فلما صار والياً وخليفة عرف ان ذلك العلم لا يكفي ، وعلم ان مصاحبة سراة الناس لا تغني عن رعاعهم ، وان شريف العلم لا يغني عن سفسافه ، فجعل يقول : كنت اصحب من الناس سراتهم ، واطلب من العلم شريفه ، فلما صار لي امر الناس احتجت الى ان اعلم سفساف العلم ، فتعلموا من العلم جيده ورديئه وسفسافه .

واهتم عمر بنشر العلم فكتب الى اهله ان ينشروه في مساجدهم فان السنة كانت قد أميتت . وخطب ذات مرة فقال : ايها الناس ، انما يراد الطبيب الوجع الشديد ، الا فلا وجع اشد من الجهل ، ولا داء اخبث من الذنوب ، ولا خوف اخوف من الموت[٣٨١]

وكانت دفعة عظيمة في رسوخ اصول العلم حين خاف عمر غائلة النسيان فأوصى ان يقيد العلم بالكتابة مخافة الضياع ، ولذلك قيل انه اول من دون الحديث .

علوم الدنيا

وكما اهتم عمر بعلوم الدين اهتم بعلوم الدنيا ولا سيما الطب لحاجة الناس اليه في اول معاشهم . وليس يخفف عن الناس اعباء

---

(٣٨٠) ابن عبد الحكم ص ١٣٧ ، ١٧٩

(٣٨١) ابن الجوزي ص ٩-٩٣-٢٠٧-٢٣٩

الحياة لا اذا سعدوا بالعدل وتنوروا بالعلم في صحة ابدان وسلامة إيمان ، وكذلك كان عمر بن عبد العزيز اول من حارب فقر الناس وجهلهم وأمراضهم ، وحاربها بقوة في مختلف بلاد المسلمين .

وكان عبد الملك بن أبجر او ابن بجر الكناني طبيباً عالماً ماهراً ، وكان يتولى تدريس الطب بمدينة الاسكندرية ، وصحبه عمر في شبابه واستطبّه . وقد تأثر ابن ابجر بعمر فأسلم على يديه ، فلما صار عمر خليفة استعان صاحبَه واعتمد عليه في تفريق علم الطب وتدريسه بانطاكية وحرّان وغيرهما من البلدان ، فانتقلت بذلك صناعة الطب اليونانيّ الى بلدان المسلمين وكانت لم تزل قوية زاهرة في الاسكندرية [٣٨٢]

وقد أمر عمر باخراج كتاب في الطب ، أخرجه « ماسرجويه» الطبيب البصريّ الاسرائيليّ ، أخرجه للناس وبثه في ايديهم [٣٨٣]

العلماء والعلوم

وكرّم عمر العلماء وبحث عنهم في كل موطن ، وجعلهم سنده واعوانه في مجلسه وعلى عماله وقضاته ، وارسل قوماً كثراً منهم لنشر الاسلام والعلم ، وجعل لمن انقطع الى القرآن والحديث نصيباً من بيت المال ، وفرض لمن نصبوا انفسهم للفقه وحبسوها في المساجد عن طلب الدنيا ـ لكل منهم مائة دينار قبضاً عاجلا ، وقد كتب الى والي حمص ليغني اهل القرآن والحديث فلا

---

(٣٨٢) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ٦٤ ـ تاريخ العرب المطول ص ٣٢٥

(٣٨٣) فجر الاسلام ص ١٦٣

يشغلون عنها .

وجرى عمر على المعلمين الأرزاق والأجور ، وكان فيمن ارسله لتعليم يزيد بن حبيب ارسله عمر الى مصر قاضياً ومعلماً [٣٨٤] وفيمن أرسله لتفقيه البدو يزيد بن ابي مالك الدمشقي والحارث ابن يجد الاشعري ، واجرى عليهما رزقاً ، فاما يزيد فقبل الأجر والرزق ، واما الحارث فابى ان يقبل على عمله اجراً ، وكتب الى عمر بذلك ، فكتب عمر : إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، واكثر الله فينا مثل الحارث بن يجد .

وفتح الضحاك بن مزاحم في عهده كتّاباً للتعليم دون ان يتقاضى على تعليم الناس اجراً .

وأغدق عمر على عماله وقضاته ومعلميه حين ضيق على نفسه وولده ، فدخل عليه ابن ابي زكريا فقال له : يا امير المؤمنين ، اني اريد ان اكلمك بشيء ، قال : قل . قال : قد بلغني انك ترزق العامل من عمالك ثلثمائه دينار ، قال : نعم ، قال : ولم ذلك ؟ قال : اردت ان اغنيهم عن الخيانة ، فقال : فأنت يا أمير المؤمنين اولى بذلك ؟ فأخرج عمر ذراعه من ثيابه وقال : يا ابن أبي زكريا ، ان هذا ليست من مال الفيء ، وليست معيداً اليه منه شيئاً ابدا !. ولم يكن هذا غاية أجر العامل عنده ، بل كان يرتفع عن ذلك كثيراً حتى يبلغ ألف الف درهم في العام [٣٨٥]

---

(٣٨٤) الطبقات ج ٦ ص ٢١٠ ـ تاريخ العرب المطول ص ٣٢٣

(٣٨٥) ابن الجوزي ص ٧٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ - ابن عبدالحكم ص ٤٣ ـ الكامل للمبرد ج ١ ص ٢٦٨

وكما عني عمر بتعليم اولاده اختار لهم المؤدب الصالح ، واختاره بعد العلم به والثقة فيه ، ولم يدعه دون ان يزوده بنصحه ، ويفيده برأيه وخبرته . وحين اختار سهلا مولاه لتأديب ولده قال له : اني اخترتك على علم مني لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن غيرك من مواليّ وذوي الخاصة بي .

ثم رسم له طريق التأديب ومنهاج الدراسة ، فطلب اليه أن يجفو في كلامهم حتى يكون ذلك أمعن لاقبالهم ، وطلب اليه ألا يصحبهم كثيراً لتظلّ له مكانته ، وطلب اليه أن ينهاهم عن كثرة الضحك حتى لا تموت قلوبهم ، وان يبغّض إليهم الملاهي فان حضور المعازف واستماع الاغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشبَ الماء . وهو أمر حق فمتى استرسل الانسان للشهوة وانقاد للهوى ولم يؤدب نفسه كان في مسلاخ البهيمة ، وخرج به مزاجه عن الاعتدال وجمحت به نفسه الى أقبح مذهب واسوأ طريقة . ومن شأن المضحك ان يتطلب اموراً معدولة عن جهاتها ليستدعي بذلك تعجب السامع وضحكه ، وهو النفاق .

وأما منهاج الدراسة فقد طلب اليه ان يفتتحوا كل يوم بجزء من القرآن يتثبتون في قراءته ، ثم يتناولوا بقية العلم ، حتى إذا فرغوا تناولوا القسي والسهام وخرجوا الى الغرض حفاة فرموا به سبعة أرشاق وانصرفوا الى القيلولة ليستريحوا . (٣٨٦)

وكان هذا منهاجاً جيداً يجمع بنيه على الدين والدنيا ، ويراوح بين البدن والروح والقول والعمل . وكان كلام عمر

(٣٨٦) ابن الجوزي ص ٢٥٧

في الغناء واللهج به كلام العليم الخبير.

واختار عمر المعلم لدينه وعلو نفسه ثم لفقهه ورأيه وجوده ويده وكثرة معروفه، ولم يفرق بين معلم عربي وآخر عجمي، ولا من كان اصله حراً واصله عبداً. وقد صارت في تهده طبقة من هؤلاء كثر عددها وذاع فضلها، فاختار منهم رجالاً البناء وارسلهم لأقصى البلدان، فاستوطن كثير منهم البلاد التي هاجروا اليها، وماتوا بها، واعقبوا بها ذرية صارت من اهلها.

الزكاة

لم تكن همة عمر بعد ردّ المظالم الا القَسْم في الناس[٣٨٧]. اما الأغنياء فحين رأوه مهتما بهذا القَسْم فقد تسارعوا من انفسهم يؤدون الزكاة والصدقات، وجاءوا العمال بقطع كبيرة من أموالهم ليجعلوها في الفقراء حيث يرون. وزكاة الفطر التي هي في ضمانة الناس انفسهم تسارعوا بها كذلك.

ومنذ جاء الأغنياء بهذه الزكاة انفقت في وجوهها من غير بطء، فانه لا نفع من زكاة ما لم تصل الى ايدي الناس في حينها حتى يسدوا حاجاتهم وشيكاً. ولم يكن للعمال اذا تولوا قسمها ان يبطئوا، فاذا فعلوا اسرع اليهم عمر يحثهم على الاسراع. وقد جاء احد العمال في عيد فطر من هذه الزكاة شيء كثير فحبسها حتى يرى رأي عمر فيها، فكتب اليه عمر يقول: لعمري، ما وجدوني واياك على ما ظنوا! وما حبسك إياها الى اليوم؟ فاخرجها حين تنظر في كتابي.

وألزم عمر العمال أن يأمروا مَنْ قِبَلَهم من الناس فلا يبقى أحدٌ إلا أخرج عنه صدقة فطر رمضان، لا يُعفَى منها حر ولا

---

(٣٨٧) الخراج لابي يوسف ص ١٦

عبد ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى ، مدّين من قمح أو صاعاً من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم — حسب رخاء الأسعار في بلده — فاما اهل العطاء [٣٨٨] فيؤخذ ذلك من اعطياتهم عن انفسهم وعمالاتهم .

وكان يقوم على كل قوم من الأغنياء رجلان من اهل الامانة ينصبهما العامل ، يقبضان ما اجتمع من الزكاة ثم يذهبان به فيقسمانه في مساكن أهل الحاضرة . اما البادية فكانت في غنى ولم يشع الفقر في أهلها كما شاع في المدن التي ازدحم فيها الناس .

وكثيراً ما كان يذهب العامل على الصدقات أو البلد الى أحياء المدن والقرى ثم يأخذ من الأغنياء صدقاتهم ، ويجمع فقراء الحيّ ويقسم بينهم من فوره . وعادت هذه الشدة في اخراج الزكاة والسرعة في قسمها وجودة المراقبة — عاد كل اولئك على الناس بالغنى والميسرة ، بل استغنى كثير من الناس من أول قسم حدث لهم في مدة عمر بن عبد العزيز ، فعفّوا حين استغنَوْا ، وكان الفقير الواحد يصيب الفريضة والفريضتين والثلاث ، فما يفارق احد مكانه وهو فقير . حتى اذا جاء العام القادم ونودي على الفقراء لم يوجدوا .

حدث يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها ، قد اغنى عمر الناس ، فاشتريت رقاباً فأعتقتهم وولاؤهم المسلمين .

---

(٣٨٨) اهل العطاء : الموظفون ومعنى ذلك ان زكاة فطرهم تستقطع من اجورهم .

وحدّث رجل من ولد زيد بن الخطاب فقال : اذ وني عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً ، فذلك ثلاثون شهراً ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده فيرجع بماله ، قد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس (٣٨٩) . وقد اغنت زكاة الفطر وحدها فقراء المسلمين .

الدعوة الى الاسلام

ولم يكن احب الى عمر من ان يعمّ الاسلام بقـــاع الارض وان يهتدي به الناس ، مهما اصاب بيت المال من النقص والخسار. وكان ملحّاً يطلب الى عماله ان يدعوا اهل الذمة إلى الاسلام فاذا اسلموا وشكا العمال اليـــه نضوب بيوت الاموال كتب اليهم يلومهم على الشكوى . وقد كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له : كتبت اليّ تسألني عن اناس من اهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة ، تستأذنني في اخذ الجزية منهم ، وان الله جل ثناؤه بعث محمد داعياً ولم يبعثه جابياً ، فمن اسلم من اهل تلك الملل فعليه في مال الصدقة ، ولا جزية عليه ، وميراثه لذوي رحمه اذا كان منهم ، يتوارثون كما يتوارث اهـل الاسلام ، وان لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بينهم ، وما احدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام (٣٩٠)

---

(٣٨٩) ابن الجوزي ص ٨٥ ، ٨٧ ـ ابن عبد الحكم ص ٦٩ ، ١٢٨ العقد الفريد ج ٤ ص ٤٣٦

(٣٩٠) الخراج لأبي يوسف ص ١٣١

وكتب عدي بن أرطاة الى عمر: اما بعد فان الناس قد كثروا في الاسلام، وخفت ان يقل الخراج. فكتب إليه: فهمت كتابك، ووالله لوددت ان الناس كلهم اسلموا حتى نكون انا وانت حراثين نأكل من كسب ايدينا.

وقد اخذ خراج مصر ينقص في عهده لأقبال القبط على الاسلام، وكان خراجها في عهد عثمان اثني عشر ألف ألف دينار وفي عهد معاوية خمسة آلاف ألف، ثم نقص في مدة عمر، فاقترح والي مصر عليه الا يعفي الداخلين في الاسلام من المصريين من الجزية، فأبى عمر وارسل إليه يقول له قولته المشهورة: ان الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا.

انه لا جزية عنده على من اسلم من اهل الارض، وما اجدب من العامر من الخراج يؤخذ في رفق وتسكين لاهل الأرض [٣٩١]

وارسل عمر عشرة من التابعين كأفراس الرهان ليفقهوا اهل افريقية ويعلموهم دينهم ويحثوهم على الجهـــاد في سبيل الله، فاذا طلبهم الجهاد جاهدوا بأنفسهم. فكل منهم مثل وقدوة، ويتولون مع ما وكل اليهم امور القضاء والفتوى، وقد حملوا معهم الى المغرب علما كثيراً.

وكان هناك جماعة من البربر اسلموا من قبل على يد موسى بن نصير، وتعلموا القرآن والفقه من العرب الذين كانوا مع موسى، فلما تولى افريقيـة اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة مائة، وكان على حربها وخراجها وصدقاتها، وكان حسن السيرة فيهم

---

(٣٩١) ابن الجوزي ص ١٠٠ — الدعوة الى الاسلام ص ٩٣ — خراج لأبي يوسف ص ٨٦

أسلم البربر جميعاً ولم يبق أحد منهم الا أسلم (٣٩٢)

أما العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا البربر فقد ألفهم من القبائل حتى يكون لكل منهم صوتٌ في ناحية من الناس . كان منهم اثنان من معافر ، وواحد من تجيب ، ومن كل من مخزوم وجذام وتنوخ وبني عبد الدار والانصار واحد ، ولم يكونوا جميعاً من العرب ومن الاحرار ، وانما كان من الموالي واحد ومن الفرس واحد . وألفهم عمر كذلك حتى يتفرقوا على جميع الناس ، وقد نسل معظم هؤلاء من القبائل التي نزلت بمصر في أول الفتح .

عبد الله بن يزيد وموهب بن حيّ من معافر ، وسعد بن مسعود من تجيب . وابنُ أبي المهاجر القرشيّ من مخزوم ، وأبو ثمامة بكر ابن سوادة من جذام ، وابو الجهم عبد الرحمن بن رافع من تنوخ ، واسماعيل بن عبيد من الانصار . أما ممثل الموالي فكان حيان بن أبي جبلة ، وممثل الفرس فكان طلق بن جابان . وعاشرهم ابو سعيد جعثل .

وقد هاجر إلى الله من هؤلاء هجرتين رجلان ، هاجرا إلى العلم والتعليم ، فلما أديا ما عليهما حضرتهما نية الجهاد فهاجرا اليه محاربين فغرقا في البحر ، هما ابو ثمامة الجذامي وابن عبيد الانصاري . وكان يسمى تاجر الله لكثرة ما حمل من علم وفقه وما فعل من صدقة ومعرفة .

وكان سعد بن مسعود التجيبيّ معلم علماء لا تأخذه في الله

---

(٣٩٢) فتوح مصر واخبارها ص ٢١٣ – ابن الاثير ج ٥ ص ١٠ – الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٦ ، ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٩٣

ملامة ، ولا تغشاه من مليك مهابة . اوسل اليه الريان بن عبد العزيز ذات مرة يدعوه الى داره من جامع الفسطاط فأبى ان يذهب وقال لرسول الريان : ليس لي اليه حاجة فآتي له ، فإن تلك له حاجة فليأت بها . وبلغ ذلك الريان فجاءه مغضباً فلما عاتبه قال له : أصلح الله الامير ! دعوتني الى ما يشينني ودعوتك الى ما يزينك ! فقال له : فكيف ذلك ؟ قال : إنه من رآك ماشياً اليّ مدحك وقال ذاك طالب علم وخير ، ومن رآني ماشياً اليك رآني طالباً حطاماً وعَرَضاً من أعراض الدنيا فشانني ! فقال الريان : سلّيت والله ما كان بقلبي ونوّرته ، نور الله قلبك وعلمك [٣٩٣]

وكان حتماً مقضياً ان تدخل افواج من الناس في دين الغزاة الفاتحين متى عاملوا الناس بالحسنى ، وكذلك استجاب كثير من امراء السند لدعوة عمر حين دعاهم الى اعتناق الاسلام وتسمّوا باسماء العرب [٣٩٤] ، واسلم ملك الهند نفسه سنة تسع وتسعين ، وأهدى الى عمر هدية من المسك والعنبر والندّ والكافور [٣٩٥] . وفيما وراء نهر السند دان كثير من الناس بالاسلام تلبية لدعوة عمر . واجتهد الجراح بن عبد الله الحكميّ والي خراسان في الدعوة واخلص لها فأقبل على الاسلام نحوٌ من اربعة آلاف . ثم كتب اليه عمر : انظر من صلى قِبَلَك فضع عنه الجزية ، فسارع الناس

(٣٩٣) رياض النفوس ج ١ ص ٦٤ ـ ٦٨

(٣٩٤) تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ١٨٧ ـ الدعوة الى الاسلام ص ٢٣٢

(٣٩٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤٠

الى الاسلام[٣٩٦] . وبلغت الرغبة من عمر في الدعوة ان أرسل الى «لاون الثالث» ملك الروم يدعوه الى الاسلام .

●

وكأنما عاد في مدته حق المؤلفة قلوبهم بعد ان منعه عمر بن الخطاب ، فكان ذلك سبباً الى الاقبال على الدين في حركة منظمة ملؤها الحماسة في نشر الدعوة وقبولها . ورأت الشعوب المختلفة من الخليفة وعماله ضروباً من الاغراء والتحبيب ، حتى إن عمر لم يأل جهدَه في الهبات لتأليف القلوب حتى انهم ليقولون إنـــه أعطى بطريقاً نصرانياً يتألفه بالعطاء الفَ دينار .

ومع أن المسلمين حديثاً لم يكونوا يُعفَون من ضريبة العشر فقد لقي عمر بن عبد العزيز نجاحا رائعا في اتمام ما قام به جده عمر ابن الخطاب ، فبادرت جموع هائلة الى الدخول في زمرة المسلمين[٣٩٧] . وكان الاعفـــاء من الجزية وابقاء الارض في يد اهل الذمة ومعاملتهم بالحسنى — كل اولئك كانت عوامل دافعة الى الدخول في دين الله افواجاً[٣٩٨] .

واستطرد بما عمل عمر اتساعُ رقعة الارض التي ينتشر فيها الاسلام ، واستمر الصلاح يتسرّب الى الأمة الاسلامية ، واتخذ العلم الديني والدنيوي سبيله الى الانتشار وسلّمه الى الارتقـاء . وسلِمت الأمة من داخلها واستعدت نواتها للبقاء اذا لم تَرْوَ من ظمأ وتنتعش في نور ، وللرقيّ والنماء إذا خصب لها الزمان وعمت العدالة وانطلقت انفاس الحرية وأشعة الضياء .

---

(٣٩٦) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٤

(٣٩٧) الدعوة الى الاسلام ص ٧٦ .

(٣٩٨) تاريخ العرب المطول ٢٧٥